المتوافقـات والمفتـرقـات
في قصتي يوسف وموسى – عليهما السلام – من خلال سورتي يوسف والقصص
– باحث أول

أستاذ التفسير المشارك بكلية التربية والعلوم الإنسانية جامعة حجة
أ. م. د / علي شوقي حسن السغير – باحث ثان

الملخص

1

العنوان: المتوافقات والمفترقات في قصتي يوسف وموسى –عليهما السلام – من خلال سورتي يوسف والقصص

يهدف البحث الى عرض بديع حكمة الله سبحانه وتعالى وتقديره في أحداث قصتي النبيين الكريمين يوسف وموسى عليهما السلام، والعرض المعجز للقصتين في سورتي يوسف والقصص، ومعرفة مافي ذلك من المتوافقات والمفترقات في الأحداث والألفاظ.

وقد سلك الباحثان في هذا البحث المنهج التاريخي التحليلي الى جانب المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

وقام الباحثان بتقسيم البحث الى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

وقد خرج البحث بعدد من النتائج أبرزها:

١. أن قدرة الله تعالى في تدبير الأمور وتسيير الأحداث وتحقيق الغايات قد تفوق تصورات الناس حتى وإن كانوا من الأنبياء والمرسلين.
٢. أن القرآن الكريم المعجزة الخالدة الباقية تتجلى فيه الحكمة الإلهية في النظم والتراكيب سواء في أحكامه أو قصصه، كما هي في جميع آياته.
٣. تظل قصص الأنبياء في القرآن نبراساً مضيئاً يهتدي بها السائرون على نهجهم، الداعون بدعوتهم، المتبعون لرسالتهم.

المصطلحات البحثية : تعريفات عامة

Abstract:

Title: Similarities and differences in the two stories of Yusuf and Musa - peace be upon them - through the two surahs of Yusuf and Al-Qasas.

The research aimed to present the wonderful wisdom (HIKMA) and appreciation of Allah, in the events of the two stories of the two noble prophets, Yusuf and Musa - peace be upon them-, and the miraculous presentation of the two stories in the Surahs of Yusuf and Al-Qasas, and to know the similarities and differences in the events and words.

In this research, the researchers followed the historical analytical method in addition to the inductive and deductive method. The researchers divided the research into an introduction, a preface, two sections, and a conclusion.

The research came out with a number of results, most important are:

1. The ability of Allah to arrange all matters, manage events and achieve goals, may exceed people's imaginations, even if they are prophets and messengers.

2. The holy Qur'an is the everlasting and eternal miracle in which the divine wisdom (HIKMA) is manifested in the composition and structures, whether in its rulings or its stories, as it is in all its verses.

3. The stories of the prophets in the Qur'an remain a shining beacon that guides those who follow their path, callers to their invitation, and the followers of their message.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل على نبيه الكتاب الحكيم، بلسان عربي مبين، وأرسل إلينا نبينا مُحَمَّد صلوات ربي وسلامه عليه ليكون رحمه لنا وللعالمين.

ثم أما بعد :

قصتان حظيتا بمكانة خاصة في القرآن الكريم – وإن كان لكل قصة في القرآن مكانتها – الأولى قصة نبي الله يوسف ، والثانية قصة نبي الله موسى – عليهما السلام –.

أما الأولى فمن حيث طريقة سردها ابتداءً وانتهاءً في سورة واحدة هي سورة يوسف وهي ميزة خاصة بها وأما الثانية فمن حيث التكرار والتفصيل لكثير من محطاتها ومقاطعها في سورٍ كثيرة، وتخصيص معظم سورة القصص لأحداثها وتفاصيلها.

والقصتان في السورتين هما موضوع دراستنا هذه في بحثنا الموسوم (المتوافقات والمفترقات في قصتي يوسف وموسى – عليهما السلام – من خلال سورتي يوسف والقصص)

أهمية الموضوع **:**

١- إن المتدبر للقصتين في السورتين يجد كنوزاً كثيرة ومتنوعة، ومن بين ذلك ما سنحاول عرضه في هذا البحث

٢- تسليط الضوء على ما يجمع فيهما من المواقف المتشابهة ابتداءً والمختلفة من حيث التفاصيل أو الأسلوب أو التنفيذ بحسب طبيعة الموقف أو ظروف الحدث أو بحسب القائم على تنفيذه.

٣- معرفة عناية الله – تعالى – بأنبيائه وجميع خلقه، ورعايته لهم في أدق التفاصيل.

٤- كيف أن المواقف المتوافقة أو المفترقة هنا وهناك قد يكون بينها القواسم المشتركة من جهة والتقاطع من جهة ثانية، كما قد نجد الاختلاف أو التنوع من جهة أخرى.

أهداف البحث :

١- التعريف ببديع حكمة الله سبحانه وتعالى وتقديره في أحداث قصتي النبيين الكريمين يوسف وموسى عليهما السلام.

٢- إبراز العرض المعجز للقصتين في سورتي يوسف والقصص.

٣- معرفة المتوافقات والمفترقات في المحطات التاريخية للقصتين ولآيات القرآنية في السورتين.

أسباب اختيار الموضوع :

لفت إنتباهنا بعض الكتابات هنا وهناك عن أوجه الشبه بين قصتي يوسف وموسى عليهما السلام، فتم العزم على عمل دراسة لتأصيل ذلك علمياً وأكاديمياً، فجاء البحث بصورة واسعة وشاملة لكل ماهو متفق بين القصتين وما هو مفترق بينهما والقواسم المشتركة في أحداثهما، وأين تفترق وتتقاطع المحطات التاريخية للقصتين.

منهجية البحث :

١- المنهج التاريخي التحليلي الى جانب المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

٢- اعتمدنا على ذكر(٤٢) محطة من المتوافقات والمفترقات حسب سرد وتسلسل الأحداث في سورة يوسف لسببين :

- الأول : السبق الزمني لعهد يوسف عليه السلام.
- الثاني : ترتيب السورتين في المصحف.

٣- جعلنا على يمين القارئ ما ورد في قصة يوسف عليه السلام وعلى يسار القارئ ما ورد في قصة موسى عليه السلام مستشهدين بما قاله بعض المفسرين في بعض المحطات.

خطة البحث :

تم تقسيم البحث إلى :

- مقدمة : تشمل أهمية الموضوع، أهداف البحث، سبب اختيار البحث، منهجية البحث، خطة البحث.
- تمهيد : تعريفات عامة
  - نبي الله يوسف عليه السلام.
  - موسى عليه السلام.
  - سورة يوسف.

- سورة القصص.

- المبحث الأول : المتوافقات في قصتي يوسف وموسى عليهما السلام في سورتي يوسف والقصص، وفيه إحدى وعشرون محطة تاريخية.
- المبحث الثاني : المفترقات في قصتي يوسف وموسى عليهما السلام في سورتي يوسف والقصص، وفيه إحدى وعشرون محطة تاريخية.
- خاتمة.
- فهرس المصادر والمراجع.

فسبحان الله الذي أراد ذلك لخلقه والحمد لله الذي بين لنا ذلك في محكم كتابه والشكر له على هدايته وتوفيقه.

تمهيد: تعريفات عامة

أولاً : التعريف بالنبيين يوسف وموسى عليهما السلام :

١-التعريف بنبي الله يوسف عليه السلام :

– هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى رسولنا أتم الصلاة والتسليم، وقد ورد في البخاري قول النبي – ﷺ – : (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم)[١].وقد سؤئل رسولنا الكريم عن أكرم الناس فقال (أنقاهم، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله)[٢].

– وهو الابن الحادي عشر لأبيه يعقوب عليه السلام، والأول لأمه راحيل.وهو من الأنبياء والمرسلين والصديقين، وشخصية دينية مشهورة في الديانات والكتب السماوية، أشتهر بالقدرة على تأويل الأحلام، وكان شديد الجمال، وهو من عائلة شرفها الله بالنبوة، وقصته في القرآن وصفها الله بأحسن القصص، وسميت سورة يوسف باسمه.

[١] - صحيح البخاري للحافظ أبي عبدالله محمد ابن اسماعيل بن إبراهيم البخاري، إشراف ومراجعة : صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ، دار السلام – الرياض – ط ٣ ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٩٠.

[٢] - صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، مراجعة وإشراف : صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ، دار السلام – الرياض – الطبعة الثالثة ٢٠٠٠م ، ص ١٠٩٦.

– عاش أغلب حياته في مصر بعد ان تم بيعه إلى عزيزها، الذي أكرمه في بيته، وقد فُتنت به زوجة العزيز لحسنه وجماله، ولكنه استعصم بالله ونجا من تلك الفتنه، ومكنه الله في الأرض حتى أصبح عزيز مصر وحاكمها إلى ان توفاه الله ودفن فيها.

٢– التعريف بنبي الله موسى عليه السلام.

– هو الكليم موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.[١]

– وهو رجل من بني إسرائيل ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني، وقد تربى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر بسبب خوفها عليه منه، ولما شبَ قتل مصرياً مما دفعه للهرب إلى مدين حيث عمل راعياً لدى نبي الله شعيب عليه السلام، الذي زوجه إحدى ابنتيه.

– وفي طريق عودته إلى مصر أوحى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأمره أن يذهب هو وأخوه إلى فرعون لدعوته لتوحيد الله ولخلاص بني إسرائيل، فأعرض عنهما فرعون وناصبهما العداء، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل، ولحق بهم فرعون وأغرقه الله في البحر، ونجا الله موسى وقومه.

– وفي صحراء سيناء صعد موسى الجبل ليكلم ربه، ويستلم الالواح، ولما عاد وجد غالب قومه قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامري، فزجره موسى، ثم أمرهم بدخول فلسطين فامتنعوا، فغضب عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء اربعين سنة، مات خلالها موسى عليه السلام قبل ان يدخل فلسطين.[٢]

ثانياً : التعريف بسورتي يوسف والقصص:

٢– التعريف بسورة يوسف :

– هي من السور المكية، نزلت بعد سورة هود، ترتيبها الثانية عشر بين سور المصحف، وعدد آياتها مائة وإحدى عشر آية، وكان نزولها في فترة مابين عام الحزن وبيعة العقبة الأولى بعد أشتداد أذاى الكفار بالنبي مُحَمَّد – صلى الله

[١] - البداية والنهاية : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي مكتبة المعارف – بيروت – بدون ٢٣٧/١.

[٢] - ينظر :
- أطلس الأديان : سامي بن عبدالله بن احمد المغلوث، مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الثالثة ٢٠١١م، ص ٢٩.
- أطلس البشرية في سورة الحج : حسن ناصر سرار، مجلة جامعة الرازي للعلوم الإدارية والإنسانية، العدد الأول، يونيو ٢٠١١، ص ٢٧-٢٨

عليه وسلم – وسميت بسورة يوسف لورود اسم (يوسف) فيها ولاشتمالها على كامل قصة يوسف عليه السلام، بل أن القصة هي موضوعها الأساس.

– والسورة لها مناسبتها الخاصة بالسورة التي سبقتها (هود) التي تحدثت عن قصص مجموعة من الأنبياء عليهم السلام بشكل موجز ، فيما تحدثت سورة يوسف عن قصة نبي الله يوسف عليه السلام بأدق التفاصيل ابتداءً وانتهاءً.

– كما ان للسورة مناسبتها بالسورة التي تليها (الرعد) من حيث توحيد دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم بتوحيد الله وهدايتهم إليه، والتدبر في خلق الله وآياته.

٢– التعريف بسورة القصص

– هي من السور المكية، عدد آياتها ثمان وثمانون، نزلت بعد سورة النمل، ترتيبها في المصحف الثامنة والعشرين، وكان نزولها في أواخر العهد المكي مابين الهجرة الى الحبشة وحادثة الإسراء والمعراج وذلك حال أشتداد أذى الكفار للرسول – ﷺ – وأصحابه – رضوان الله عليهم –، وكأن الظروف القاسية التي عاشها مُحَمَّد – ﷺ – والصحابة في مكه شبية بالظروف التي عاشها موسى عليه السلام وأتباعه، وفي ذلك عبرة واستبصار ودعوة للصبر ورجاء للفرج والنصر.

– كما نلاحظ مدى التوافق بين ظروف نزول سورة يوسف وسورة القصص.

- وسميت بسورة القصص لوقوع لفظ (القصص) فيها ولاشتمالها على قصة موسى عليه السلام.

– وقصة موسى شملت عدداً كبيراً من آيات السورة.

- والسورة لها مناسبتها بما سبقها في سورتي (النمل ، الشعراء)، حيث كان الحديث فيهما عن قصص الأنبياء وذكر أحولهم إيجازاً لتاتي سورة القصص فتتحدث عن قصة موسى عليه السلام تفصيلاً، كما أن السورة أكملت ما ذكرته السورتان السابقتان من أحوال الأمم السابقة وهلاك المكذبين منهم.

– والسورة لها ارتباطها ومناسبتها بما جاء بعدها في سورة (العنكبوت)، فقد وردت في السورتين أمثلة كثيرة على سنن الصراع بين الحق والباطل، والثبات على الدين، ونتاج التكذيب لدعوة الرسل، وما حصل من أضطهاد لأتباع موسى في بداية دعوته في سورة القصص، وما حصل كذلك من أضطهاد لأتباع مُحَمَّد – ﷺ – في بداية دعوته في

سورة العنكبوت، وكذا الحديث عن هجرة موسى عليه السلام في سورة القصص وهجرة النبي – ﷺ – في سورة العنكبوت.

وفيما يخص السورتان موضوع الدراسة (يوسف ، القصص) نشاهد مدى الترابط والتوافق بينهما من حيث ظروف نزولهما والقصص فيهما والسور التي سبقتهما أو جاءت بعدهما.

المبحث الأول : المتوافقات في قصتي يوسف وموسى – عليهما السلام –.

في إحدى وعشرين محطة من أهم المحطات التاريخية والمواقف المهمة في قصتي وتأريخي النبيين الكريمين يوسف وموسى عليهما السلام سنقف على أهم ما يجمع بينهما من الأحداث المتشابهة والمواقف المتوافقة وذلك من خلال السرد القرآني في السورتين العظيمتين – يوسف والقصص –.

سنعرض هذه المشاهد من خلال الآيات القرآنية التي تكاد أن تتوافق وتتشابه من حيث النظم والتركيب والدلالة والعبرة، كما هو حال التوافقات في الاحداث والمواقف هدفاً وابتداءً وانتهاءً ونتيجةً.

المحطـة الأولـى :

افتتاح سورة يوسف		افتتاح سورة القصص
– ابتدأت سورة يوسف بأحرف مقطعة وفيها إشارة إلى الإعجاز اللغوي في السورة المكونة آياتها وكلماتها من أحرفٍ عربية.		– ابتدأت سورة القصص بأحرف مقطعة وفيها إشارة إلى الإعجاز اللغوي في السورة المكونة آياتها وكلماتها من أحرفٍ عربية.
قال تعالى : (الر)يوسف١		قال تعالى : (طسم) القصص: ١

(الر) في سورة يوسف، و(طسم) في سورة القصص أحرف مقطعة[1] جاءت وأمثالها في بدايات بعض السور القرآنية إشارة إلى أن هذا القرآن المعجز في تركيبه ونظمه وآياته وعلومه وأحكامه يتألف من هذه الأحرف، ومع ذلك يعجز العرب والعالم ان يأتو بمثله، أو بمثل سورة من سوره، أو آية من آياته، وقد أكد الله هذا المعنى في الآيه الثانية من سورة يوسف عندما قال (إنا أنزلنه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)

المحطة الثانية :

وضوح وبيان الآيات القرآنية قال تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۚ) يوسف: ١		وضوح وبيان الآيات القرآنية قال تعالى : (ۚتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) القصص: ٢
في السورتين يظهر توافق أحرف وكلمات الآيه (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)		

المحطة الثالثة :

ذكر كلمة (القصص) **في** سورة يوسف، فقد وصف الله تعالى أحداث قصة يوسف بأحسن القصص.		ذكر كلمة (القصص) في سورة القصص، فقد وصف الله تعالى أحداث قصة موسى بالقصص.

[1] - مجموع الأحرف المقطعة في بدايات السور القرآنيه (١٤) حرفاً، وهي نصف حروف اللغة العربية، مجموعة في القول (نص حكيم قاطع له سر)
تتكون الأحرف المقطعة من :
- حرف واحد : ن، ق، ص.
- حرفين : طه، يس، طس، حم.
- ثلاثة أحرف : عسق، الم، الر، طسم،
- أربعة أحرف : المر، المص.
- خمسة أحرف : كهيعص
- أول سورة نزلت بالأحرف المقطعة هي سورة القلم، وهي آخر سورة في المصحف من السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة.
- وردت الأحرف المقطعة في تسعة وعشرين سورة.
- بعض السور تسمى باسم الأحرف المقطعة : يس، طه، ق، ص.

قال تعالى :(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) يوسف: ٣		قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) القصص: ٢٥
المحطة الرابعة :		
قصة يوسف مهداة للنبي مُحَمَّد – ﷺ – ولأمته للاعتبار، وفيها مواساة للرسول ﷺ لما ألمَّ به من الحزن والمصاعب. قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) يوسف: ٣		قصة موسى مهداة للنبي مُحَمَّد – ﷺ – ولأمته للاعتبار، وفيها مواساة للرسول ﷺ لما ألمَّ به من الحزن والمصاعب. قال تعالى :(نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) القصص: ٣

المحطة الخامسة :		
يوسف يُلقى في مياه البئر. قال تعالى : (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ)ً يوسف: ١٠		موسى يُلقى في مياه اليم قال تعالى : (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) القصص: ٧

والجب : بئر ماء في بيت المقدس، واليم نهر النيل في مصر، والآيات في سورة يوسف تشير إلى :

" أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الجب، وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرون له إكراماً له، وبسطاً وشرحاً لصدره، وإدخالاً للسرور عليه " [١].

بينما تشير الآيات في سورة القصص إلى ان الأم كانت أمام خيارين :

– خيار عاطفة الأمومة التي تدفعها إلى احتضان ابنها والتمسك به خوفاً من الهلاك والمصير المجهول.

– خيار عقلها وارتباطها بربها وصدق إيمانها به وعميق التوكل عليه، وهنا غلب الإيمان على العاطفة، فتوكلت على الله وألقت بفلذة كبدها إلى مياه نهر النيل.

[١] - صلاح عرفات وآخرون : اليسير في اختصار تفسير ابن كثير ، دار الهداية للنشر – جدة – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ، ص ٩١٩.

المحطـة السادسة :

رعايـة الله سـبحانه وتعـالى – ليوسـف في البئـر، والوحي ينزل بالبشرى. قال تعالى :(وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) يوسف: ١٥		رعاية الله سبحانه وتعالى لموسى في اليم، والوحي ينزل بالبشرى. قال تعالى : إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)القصص: ٧

فما أروع هذان المشهدان مشهد يوسف وهو في غيابة الجب ومعية الله إلى جانبه، وعناية الله ترعاه، والوحي ينزل إليه ليخبره عن مستقبله ليرى الأمل وهو في تلك الظلمة.

ومشهد موسى والماء تتلاعب به هنا وهناك، وقدرة الله وحكمته حاضرة لتسخير الرياح والمياه لخدمته، والحفاظ عليه، وسوقه إلى حيث يشاء رب الجميع.

وفي هذه الظروف الحالكة لتلك الأم الخائفة إذا بالوحي يبشرها بمستقبل وليدها.

المحطـة السابعة :

يوسف – عليه السلام – من حياة البداوة إلى العبودية إلى القصور ثم النبوة والرسالة قال تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ، وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) يوسف: ٢٠ – ٢١		موسى – عليه السلام – من حياة البساطة إلى القصور إلى العمل ثم النبوة والرسالة. قال تعالى : (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) القصص: ٢٤ وقال تعالى : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ) القصص: ٢٧

المحطـة الثامنة :

يقال تعالى : (عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) وسف: ٢١ القـــول علـــى لســـان وزيـــر ملـــك مصـــر		قال تعالى : (عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) القصص: ٩ القول على لسان زوج فرعون مصر.

إنها إرادة الله سبحانه وتعالى في إدارة قلوب البشر وتسخيرها لتنفيذ حكمته ومشيئته.

فلسان العزيز ينطق بما أراده الله أن يكون، فيخاطب امرأته بقوله (عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً)، لتأتي بعد ذلك بفترة من الزمن امرأة فرعون لتنطق لسانها (عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) ليكون المنطوق والمضمون متوافقان هنا وهناك.

المحطـة التاسعة :

أنعم الله على يوسف بالحكمة والعلم. قال تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يوسف: ٢٢		أنعم الله على موسى بالحكمة والعلم. قال تعالى :ُ(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) القصص: ١٤

المحطـة العاشرة:

عفة وطهارة بيت النبوة. يوسف بن يعقوب عليهما السلام يستحضر عفته التي اكتسبها من البيت النبوي الكريم. قال تعالى : ُ(قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)ً يوسف: ٢٣ قال تعالى :(قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) يوسف: ٥١		عفة وطهارة بيت النبوة. بنت شعيب عليه السلام تستحضر عفتها التي اكتسبتها من البيت النبوي الكريم حينما ذهبت إلى موسى. قال تعالى : (فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء) القصص: ٢٥

(مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) هذه هي الحقيقة التي يشهد بها واقع الحال، كما أن الجميع كان يدرك عفة وطهارة سيدنا يوسف، ولم يلحظ عليه أحد قبل هذه الحادثة حالة تناسب إقدامه على مثل هذا الفعل المنكر.

ومثلما كانت شهادة نسوة القصر بعفة وطهارة سيدنا يوسف عليه السلام نرى تكرار هذه الشهادة من بنت بيت النبوه نبي الله شعيب وهي تسجل شهادتها أمام أبيها بأمانة موسى عليه السلام عندما طلب منها أن تمشي وراءه وترشده إلى طريق بيت أبيها.

المحطـة الحادية عشر:

الفتنة تطل برأسها مرة أخرى على يوسف قال تعالى : (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) يوسف: ٣١ (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يوسف: ٣٣ – ٣٤		الفتنة تطل برأسها مرة أخرى على موسى. قال تعالى : (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ،فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) القصص: ١٨ – ١٩

إنه التميز الذي لا يصل إليه إلا أرباب العفة والنزاهة، فالسجن أحب إلى نبي الله يوسف من دعوات وإغراءات جميلات القصور " وإلتزامه العفة والنزاهة والطهارة حتى أنه آثر دخول السجن على ارتكاب الفاحشة والتخلص من افتتان النساء به " [١].

المحطـة الثانية عشر:

يوسف يلجأ إلى ربه وقت المحنة والحاجة، وربه يستجيب. قال تعالى : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ،		موسى يلجأ إلى ربه وقت الضيق والحاجة، وربه يستجيب. قال تعالى : (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

[١] - وهبه بن مصطفى الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر العاصر – دمشق – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ، ٢٤١/١٣.

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يوسف: ٣٣ – ٣٤		فَقِيرٌ، فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) القصص: ٢٤ – ٢٥

بأدب الأنبياء في الدعاء وتلطفهم في طلب حاجتهم من ربهم نرى سيدنا موسى في هذا المشهد العجيب الذي يصوره القرآن الكريم بعد أن قام بما يرى أنه واجب عليه من الناحية الإنسانية وداعي المروءة رغم تعب السفر وشدة الجوع (فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) " ثُمَّ تَوَلَّى إلى الظل الذي كان هناك... فقال رب إني لما أنزلت إلي من خزائن كرمك إليّ من خير جلّ أو قلّ فقير أي محتاج... والكلام تعريض لما نالـه من شدة الجوع والتعبير بالماضي (أنزلت) للاستعطاف " [1].

(فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) " أي يا رب محتاج إلى فضلك وإحسانك وإلى الطعام الذي أسد به جوعي " [2].

ومن أجمل ما قيل في هذه الآية :

(فَسَقَى لَهما ثم) " حلت به متاعب الأسفار، وأدركه تعب السعي والسقي فطلب الراحة لنفسه، و (تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ) ليرتاح مما لا قاه من المشاق التي لا يحتملها إلا الأنبياء، وخواص الأولياء والأصفياء، وأحس بالجوع الذي يذيب الجسد، ويفري الكبد (فقال) مخاطباً مولاه الذي خلقه فسواه، وكلأه ورعاه (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) طعام (فَقِيرٌ) محتاج. وقد قال (لِمَا أَنزَلْتَ) ولم يقل لما تنزل لتأكده من استجابة ربه له، ولتحققه من نزول الخير إليه " [3] .

[1] - شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبدالباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ١٠ / ٢٧٣.

[2] - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الصابوني – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ٣٩٦/٢.

[3] - محمد محمد عبداللطيف بن الخطيب : أوضح التفاسير ، المطبعة المصرية – مصر – الطبعة السادسة ، ١٣٨٣هـ ٤٧١/١

المحطـة الثالثة عشر :		
يوسف يمارس دعوته إلى الله في أحلك الظروف. قال تعالى : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) يوسف: ٣٩ – ٤٠		موسى يمارس دعوته إلى الله في أحلك الظروف. قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ، وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) القصص: ٣٦ – ٣٧

المحطـة الرابعة عشر:		
يوسف مكين أمين. قال تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ) يوسف: ٥٤		موسى القوي الأمين. قال تعالى : (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) القصص: ٢٦

في قوله تعالى : (الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) " أي أنه خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة، فقال لها أبوها : ما أعلمك بقوته وأمانته ؟ فقالت : أما قوته بأنه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه إلا عشرة، وأما أمانته فإنه قال لي أمشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك " [1].

وفي ذلك يقول السيوطي : " قال لها أبوها : ما رأيت من قوته وأمانته فأخبرته بالأمر الذي كان، قالت: أما قوته فإنه قلب الحجر وحده وكان لا يقلبه إلا النفر وأما أمانته فإن قال : أمشي خلفي وأرشديني الطريق لأني امرؤ من عنصر إبراهيم عليه السلام لا يحل لي منك ما حرم الله "[2].

المحطـة الخامسة عشر:		
يوسف من المحسنين. قال تعالى : (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يوسف: ٥٦ وقال تعالى : (قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) يوسف: ٧٨		موسى من المحسنين قال تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) القصص: ١٤
المحطـة السادسة عشر :		

[1] - علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل تحقيق : محمد علي شاهين ، دار الكتب العملية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ٣٦٢/٣.

[2] - جلال الدين السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر) : الدر المنثور ، دار الفكر – بيروت – بدون ، ٤٠٤/٦.

تمكين الله ليوسف في الأرض قال تعالى : (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يوسف: ٥٦		تمكين الله لموسى في الأرض قال تعالى : (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) القصص: ٥ – ٦

المحطـة السابعة عشر :

جعل الله من معجزات يوسف مما تنبته الأرض (الزرع). قال تعالى : (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ) يوسف: ٤٧		جعل الله من معجزات موسى مما تنبته الأرض (العصى) قال تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) القصص: ٣١

المحطـة الثامنة عشر :

الاستغفار سلوك الأنبياء. قال تعالى : (قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يوسف: ٩٢ وقال تعالى : (قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) يوسف: ٩٧ –٩٨		الاستغفار سلوك الأنبياء. قال تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) القصص: ١٦

المحطـة التاسعة عشر :

الشيطان هو المتسبب قال تعالى : (مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) يوسف: ١٠٠		الشيطان هو المتسبب. قال تعالى : (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ) القصص: ١٥

المحطـة العشرون :

في نهاية الأحداث الإقرار بأن الله هو المنعم على يوسف بالملك والتعليم وتأويل الأحاديث. قال تعالى : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ		في نهاية الأحداث يأتي التصديق الإلهي على أنه هو المنعم على موسى بالكتاب بصائر للناس وهدى ورحمة. قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)ً القصص: ٤٣

وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) يوسف: ١٠١		

المحطـة الحادية والعشرون :

خاتمة قصة يوسف: الله سبحانه وتعالى ختم قصة يوسف بمخاطبة النبي مُحَمَّد ﷺ بقوله (وما كنت...) قال تعالى : (وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) يوسف: ١٠٢		خاتمة قصة موسى: الله سبحانه وتعالى ختم قصة موسى بمخاطبة النبي مُحَمَّد ﷺ بقوله (وما كنت..) قال تعالى : (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) القصص: ٤٤ وقال تعالى : (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) القصص: ٤٦

المبحث الثاني : المفترقات في قصتي يوسف وموسى – عليهما السلام

في إحدى وعشرين محطة من أهم المحطات التاريخية والمواقف المهمة التي برزت في تاريخي النبيين الكريمين يوسف وموسى عليهما السلام سنحاول التنقيب والكشف عما تجمع عليه الأحداث وتفترق، وعما تتشابه فيه المواقف وتفترق، فأحداث حدثت في قصتي يوسف وموسى عليهما السلام تشابهت في

أشياء وافترقت في أخرى حدثاً أو شخوصاً، دوافعاً أو أهدافاً.

وكيف كان النظم القرآني معبراً عن هذا التوافق تارة، وهذا الافتراق تارة.

وفي هذا المبحث سنستقرأ من عمق الآيات والأحداث والشخوص مكان الإفتراق.

المحطة الأولى :

الأب	الأم
في قصة يوسف كأن الأب هو محور العاطفة والحنان والخوف والرعاية والعناية بولده يوسف. قال تعالى : (قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً) يوسف: ٥ قال تعالى : (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) يوسف: ١٣ وقال تعالى : (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) يوسف: ١٨	في قصة موسى كانت الأم هي محور العاطفة والحنان والرعاية والخوف والعناية بولدها موسى. قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) القصص: ٧ وقال تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) القصص: ١٠ وقال تعالى : (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) القصص: ١٣

يقول سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى : (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)

" ويطوي السياق الطريق بهم حتى يقفهم في مشهد أمام أبيهم المفجوع، وقد أفضوا إليه بالنبأ الفظيع، فلا تسمع إلا رده فصبراً سريعاً، شجاً وجيعاً...

وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، وينـدب فجيعته في ولده الحبيب يوسف، الذي لم ينسه، ولم تهوَّن من مصيبته السنون "[1].

أما في تفسيره لسورة القصص نجد سيد قطب يتحدث عن مشاعر الأم فيقول : " وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترتجف أن تتناول عنقه السكين،ها هي ذي بطفلها الصغير في

[1] - سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق – القاهرة ، بيروت – الطبعة ٣١ – ٢٠٠٢م ، ٢٠٢٥/٤.

قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه، عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة...

يا الله، يا للقدرة، يا أم أموسى أرضعيه، فإذا خفت عليه وهو في حضنك، وهو في رعايتك، إذا خفت عليه وفي فمه ثديك، وهو تحت عينك، إذا خفت عليه (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)...

هذا هو المشهد الأول في القصة مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة" [1].

المحطـة الثانية :

الأخوة		**الأخت**
أخـــوة يوســـف كـــانوا ســـبباً في التفريـــق بين يوسف وأبيه. قال تعالى : (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ، إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ، اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ) يوسف: ٧ – ٩		أخت موسى كانت سبباً في الجمع بين موسى وأمه. قال تعالى : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) القصص: ١١ – ١٢

وأخوة يوسف هم : روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزيالون، ويشجر، وأمهم ليا بنت ليان بنت خال يعقوب ودان، ونفتالي، وجاد، وآشر وأمهم سريتين، وبنيامين أخو يوسف من أمهما راحيل.

يقول الإمام الشوكاني – رحمه الله – " لما أجمع رأيهم على أن يلقوه في غيابات الجب جاؤوا إلى أبيهم وخاطبوه بلطف الأبوة استعطافاً، وتحريكاً للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء، وتوسَّلا بذلك إلى تمام ما يريدون من الكيد الذي دبروه " [2].

[1] - المرجع نفسه ، ٢٦٧٨/٥ ، ٢٦٧٩

[2] - الإمام محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار ابن كثير – دمشق ، بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩٨، ١٢/٣ .

وأخت موسى هي مريم بنت عمران وهو موافق لاسم مريم أم عيسى عليه السلام قامت بجهد كبير في تتبع أثر أخيها والبحث عنه مستخدمة فطنتها حتى لا يعلم آل فرعون بأمرها، ومن ذلك : " أظهرت أخته نفسها كأنها مرت بهم من غير قصد...

وعرضت سعيها في ذلك بطريقة الاستفهام المستعمل في العرض تلطفاً مع آل فرعون وإبعاداً للظن عن نسفها "[1].

والمحطتان الأولى الثانية تظهران قدرة الله وحكمته في تدبير شئون خلقه فكما أن ليوسف أباً يرعاه ويعطف عليه ويحبه ويخاف عليه ويفرح لأجله ويحزن عليه، فكذلك لموسى أماً ترعاه وتعطف عليه وتحبه وتخاف عليه وتفرح لأجله وتحزن عليه.

وكذلك إذا كان ليوسف أخوه يكيدون عليه ويبعدونه عن والده باستخدام أسباب ووسائل بشعة فإن لموسى أخت تسعى بكل جهد، متخذة أسباب ووسائل وأساليب ذكية فطنة لاسترداد أخيها إلى حضن والدته.

تكامل أسري عجيب فيه آيات لأولى الألباب.

المحطـة الثالثة :		
يوســـف أُلقـــي في الجـــب بأيـــدي مبغضـــيه (أخوته) وهي أيدي الكراهية والحقد والحسد. وهي من تدبير ومكر البشر. قال تعالى : (وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) يوسف: ١٥		**موسى أُلقي في اليم بيد محبه (الأم) وهي يد الحب والرعاية والحنان.** وهي من تدبير ومكر الله رب البشر وهو خير الماكرين. قال تعالى : (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) القصص: ٧
فيما تظهر الآيات أن كيد أخوة يوسف بأخيهم وإلحاق الأذى به وتغييبه عن الحياة بإلقائه في غيابة الجب، نرى في المقابل التدبير لأم موسى بولدها موسى خشية لحاق الأذى به وحفاظاً على حياته بإلقائه في مياه		

[1] - محمد الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ – بيروت – الطبعة الأولى : ٢٠٠٠م ، ٢٥/٢٠.

نهر النيل.

المحطـة الرابعة :		
يوسف إلى مصر قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ) يوسف: ٢١		**موسى يغادر مصر** قال تعالى :(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) القصص: ٢١
المحطـة الخامسة :		
يوسف – عليه السلام – يغيب عن والده سنوات		موسى – عليه السلام – يغيب عن والدته ساعات.

المحطـة السادسة :		
في القصر الزوج هو من طلب أن يتربى يوسف فيه قال تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ، وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) يوسف: ٢٠ – ٢١		**في القصر** الزوجة هي من طلبت أن يتربى موسى فيه قال تعالى : (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) القصص: ٩

المحطـة السابعة :		
قال تعالى :(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) يوسف: ٢٢		قال تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) القصص: ١٤

ففي سورة يوسف نلاحظ أن الله تعالى نبه سيدنا يوسف عليه السلام بما يراد منه عندما بلغ (أشده)، أي عند إكتمال قوته الجسدية، وقد تكتمل القوة الجسدية للإنسان في العشرينيات من عمره.

بينما في قصة سيدنا موسى عليه السلام نلاحظ ان الله سبحانه وتعالى لم ينبه نبيه موسى عليه السلام بما يراد منه إلا بعد أن بلغ (أشده واستوى)، أي بعد كمال القوة الجسدية وكمال القوه العقلية، وهذه قد تتأخر إلى سن الأربعين.

ولربما كان ذلك لحاجة موسى إلى الأمرين معاً (كمال القوة وكمال الرشد) لثقل رسالته التي سيحملها إلى فرعون، يضاف إلى ذلك أنه من أولي العزم من الرسل.

المحطـة الثامنة :		
يوسف يتعرض لفتنة من امرأة وينجو منها قال تعالى : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ يوسف: ٢٣ – ٢٤		**موسى يتعرض لفتنة من رجل ويقع فيها.** قال تعالى : (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُّبِينٌ) القصص: ١٥

الآية : (وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ....) الآية يوسف : ٣٢ .

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية :

"وراودته للفاحشة أي تحلت وطلبت منه أن يوافقها التي هو في بيتها وهي زليخا وترك التصريح بها استهجاناً.

فراودته عن نفسه وغلقت الأبواب، قيل كانوا سبعة، والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق، وقالت هيت لك أي : أقبل وبادر أو تهيأت لك، روي أنها تزينت بأحسن ما عندها وقالت تعال يا يوسف " [1]

وقوله تعالى (هيت) : " هيت اسم فعل أمر بمعنى أقبل وأسرع فهي كلمة حض وحث على الفعل" [2]

وكان يوسف عليه السلام في حال سبيله وإذا به يتفاجأ بداعي فتنة من امرأة كان زوجها قد طلب منها إكرامه عسى أن يكون ولداً لهما.

" فراودته فقد كانت هذه المراودة مكشوفة وكانت الدعوة فيها سافرة إلى الفعل الأخير، وحركة تغليق الأبواب لا تكون إلا للحظة الأخيرة، وقد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي تهتاج فيها دفعة الجسد الغليظة، ونداء الجسد الأخير " [3].

لنقرأ هذا المشهد العجيب بطريقة أخرى : " فهي التي راودته عن نفسه بما ألقت إليه من كلمات، وإشارات، وتلميحات وهي التي غلقت الأبواب، فكانت تلك دعوى صريحة منها إليه.

ثم هي التي – حين رأت أن ذلك كله لم يدعه إليها، ولم يقربه منها – دعته إلى نفسها وقالت : (هيت لك) : أي هأنذا لك فأقبل، وهذا ما لا تفعله الحرة ذات الجاه والسلطان إلا إذا كانت قد استبدت بها الرغبة ثم لم تجد من الجانب الآخر الاستجابة منه لها.

عندئذ تخلع عذار حيائها وتتخلى عن مكانتها كإمرأة تُطلب ولا تَطلب " [4]

وكان موسى عليه السلام كذلك في حال سبيله وإذا به يتفاجأ بداعي فتنة من رجل من بني قومه، من أهله، من شيعته، من عشيرته، من بني إسرائيل وهو مع رجل من القبط.

---

[1] - ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازين : مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ ، ١٨/ ٤٣٨

[2] - محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، ٣٣٨/٧

[3] - في ظلال القرآن : ٤/ ١٩٨٠.

[4] - عبدالكريم يونس الخطيب : التفسير القرآني ، دار الفكر العربي – القاهرة – بدون ، ١٢٥٣/٦.

" يتخاصمان ويتضاربان (هَذَا مِن شِيعَتِهِ) أي من بني إسرائيل (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) القبط (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ) لأنه قد اشتهر وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته لموسى دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغاً يخاف منه ويرجى من بيت المملكة والسلطان " [1].

وفي الوقت الذي نرى فيه وضوح المشهد عند سيدنا يوسف – عليه السلام – وهو ينأى بنفسه عن الوقوع في الفتنة ، وقد كانت كل السبل مهيأة له.

نرى كذلك مشهد سيدنا موسى – عليه السلام – وهو يمسك عصاه ويهوي بها على القبطي ليرديه قتيلاً.

المحطـة التاسعة :		
زوجة العزيز كانت مصدر القلق والأذى ليوسف قال تعالى : (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) يوسف: ٢٥		**زوجة فرعون كانت مصدر الأمن والأمان لموسى.** قال تعالى : (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ)القصص: ٩

(مَـا جَـزَاء مَـنْ أَرَادَ بِأَهْلِـكَ سُـوَءاً) كـاملاً مجمـلاً مبهمـاً، لم تسـتطع التصـريح لأن الخـوف كان هو المسيطر عليها، أما سيدنا يوسف فقد كان صريحاً كما كان صادقاً كما كان طاهراً وعفيفاً قال : (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي) هكذا بكل صراحة " ولما أغرت بيوسف وأظهرت تهمته احتاج إلى إزالة التهمة عن نفسه فقال : (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي) لما خاف عن نفسه وعلى عرضه الطاهر، قال بضمير الغائب، إذ كان يغلب عليه الحياء أن يشير إليها بضمير الإشارة هذه [2]"

المحطـة العاشرة :

[1] - عبدالرحمن بن ناصر السعيدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار الحديث – القاهرة – طبعة ٢٠٠٢ ، ص ٦٧١،

[2] - ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حبان أثير الدين الأندلسي : البحر المحيط ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، طبعة ١٤٢٠هـ ، ٢٦١/٦.

رجل يشهد ليوسف وهو ليس من أهله. قال تعالى :(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) يوسف: ٢٦		**رجل يشهد على موسى وهو من أهله** قال تعالى : (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) القصص: ١٩

في قوله تعالى (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) " وحكم ابن عمَّ لها مستدلاً بما ذكر، وكان عاقلاً حصيف الرأي فقال قد سمعنا جلبة وضوضاء ورأينا شق القميص، إلا أنا لا ندري أيكما كان قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدام فصدقت في دعواها أنه أراد بها سوء وهو من الكاذبين في دعواه أنها راودته فامتنع وفر هارباً فتبعته وجذبته تريد إرجاعه، وإن كان قميصه قد من الخلف فكذبت في دعواها أنه هجم عليها يريد ضربها، وهو من الصادقين في قوله أنه فر هارباً منها " [1].

وفي المشهد المقابل، مشهد شاهد موسى يمكن لنا مطالعته كالتالي : –

" لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلاً آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس، فعظم ذلك على موسى وقال له إنك لغوي مبين، ولما أراد موسى أن يبطش بالقبطي ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به و فقال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس، فأشتهر خبر قتل موسى للقبطي إلى أن وصل إلى فرعون " [2].

المحطـة الحادية عشر:

[1] - أحمد بن مصطفى المراغي : تفسير المراغي ، مكتبة مصطفى الباني – مصر – الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ، ١٢٣/١٢

[2] - أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الغرناطي : التسهيل لعلوم التنزيل تحقيق : عبدالله الخالدي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ٢/ ١١١

نساء القصور يتحرشن بيوسف ويعرضن أنفسهن عليه إغراءً وإغواءً فيمتنع ويستعصم ويرغب في السجن مقابل ذلك. قال تعالى : (وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) يوسف: ٣١ قال تعالى : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) يوسف: ٣٣		**بنات شعيب يستحين أمام موسى عفافاً وطهراً ووالدهن يعرض عليه الزواج فوافق ويرغب في العمل مقابل ذلك.** قال تعالى: (فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء) القصص: ٢٥ وقال تعالى :(اَلَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ) القصص: ٢٧

المحطة الثانية عشر :

يوسف لم يقع في الفتنة لكنه ذهب إلى السجن قال تعالى : (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) يوسف: ٣٥		موسى وقع في الفتنة لكنه نجا بنفسه وهاجر. قال تعالى :(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) القصص: ٢١

كانت كل المؤشرات تدل على براءة سيدنا يوسف عليه السلام لكن للملوك وأرباب القصور رأي آخر وبدا لهم بعد بيان الأدلة ووضوحها أن يغطوا على الفعلة تلك بسجن البريء الذي أصرّ على الحفاظ على عفته وطهارته ونزاهته وعلى شرف من أكرم مثواه.

المحطـة الثالثة عشر:

أصحاب القصر تصالحوا مع يوسف وقربوه منهم فكانت العاقبة حميدة لهم. قال تعالى :(قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي		**أصحاب القصر تصادموا مع موسى وطاردوه فكانت العاقبة وخيمة عليهم.** قال تعالى :(وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) القصص: ٢٠ وقال تعالى :(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ،وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يوسف: ٥١ – ٥٥		عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) القصص: ٤٠

المحطـة الرابعة عشر:

يوســف يطلــب مــن أخوتــه إحضار أخيه بنيامين للاستئناس به. قال تعالى : (وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) يوسف: ٥٩		**موسى يطلب من ربه إرسال أخيه معه هارون ليشد أزره.** قال تعالى : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي) القصص: ٣٤

المحطـة الخامسة عشر:

شــدة حــزن الأب علــى فــراق ابنـــــــه يوســـــــف كاد أن يسبب له الهلاك. قال تعالى : (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ،قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) يوسف: ٨٤ – ٨٥		**شدة حزن الأم على فراق ابنها موسى كاد أن يسبب لموسى الهلاك.** قال تعالى :(وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) القصص: ١٠ وقال تعالى :(كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) القصص: ١٣

ففي حالة والد يوسف :

(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) أي : أعرض عنهم، وقطع الكلام معهم (وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) قال الزجاج : الأصل يا أسفي فأبدل من الياء ألفاً لخفة الفتحة، والأسف : شدة الجزع، وقيل شدة الحزن.

قيل : أن مجرد الحزن ليس بمحرّم، وإنما المحرم ما يفضي منه إلى الوله وشق الثياب والتكلم بما لا ينبغي، وقد قال النبي ﷺ عند موت ولده إبراهيم : (تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم محزونون) [1]

ويؤيد هذا قوله (فهو كظيم) أي مكظوم، فإن معناه مملوء من الحزن.

وقيل : الكظيم بمعنى الكاظم أي المشتمل على حزن الممسك له

(حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً) وأصل الحرض : الفساد في الجسم أو العقل من الحزن [2].

وفي حالة أم موسى :

"(وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) قال المفسرون معنى ذلك أنه فارغ من كل شيء إلا من أمر موسى، كأنها لم تهتم بشيء سواه.

قال أبو عبيدة : خالياً من ذكر كل شيء في الدنيا إلا من ذكر موسى....

وقال الأخفش : فارغاً من الخوف والغم.

وقال سعيد بن جبير: والهاً كادت تقول وابناه من شدة الجزع.

وقال مقاتل : كادت تصيح شفقة عليه من الغرق.

وقيل المعنى : أنها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع، والدهش "[3]

المحطـة السادسة عشر:

[1] - رواه البخاري عن أنس .
[2] - فتح القدير ٥٧/٣، ٥٨ بتصرف – مرجع سابق
[3] - المرجع نفسه ١٨٥/٤ - مرجع سابق .

الأب يأمر أبنائه التحسس عن أخيهم يوسف والبحث عنه. قال تعالى : يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ يوسف: ٨٧		**الأم تأمر ابنتها تتبع أثر أخيها موسى والبحث عنه.** قال تعالى : وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ القصص: ١١

المحطـة السابعة عشر:		
الله يكيد ليوسف ليأخذ أخاه. قال تعالى :(كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ) يوسف: ٧٦		**الله يكيد لموسى لتأخذه أخته.** قال تعالى : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)القصص: ١٢

"في قوله تعالى : (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) أربعة أقوال :

أحدها : كذلك صنعانا له، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثاني : احتلنا له، والكيد : الحيلة، قاله ابن قتيبة.

والثالث : أردنا ليوسف، ذكره ابن القاسم.

والرابع : دبرنا له بأن ألهمنا ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه.

قال ابن الأنباري : لما دبر الله ليوسف ما دبر من ارتفاع المنزله وكمال النعمة على غير ما ظن أخوته، شبه بالكيد من المخلوقين لأنهم يسترون ما يكيدون به عمن يكيدونه " [1].

[1] - جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، ٤٥٨/٢

ويقول الزمخشري : (كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم، كدنا ليوسف يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له، لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد. إلا أن يشاء الله أي ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه " [1]

المحطـة الثامنة عشر :

إخوة يوسف يلصقون تهمة الفساد به في محاولة لإظهار براءتهم. قال تعالى : (قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) يوسف: ٧٣ قال تعالى :(قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ) يوسف: ٧٧		**الذي من شيعته يلصق تهمة الفساد بموسى في محاولة لإظهار براءته.** قال تعالى : (قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) القصص: ١٩

المحطـة التاسعة عشر:

بعد الفراق الأب يذهب إلى ابنه (يوسف) قال تعالى : (فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ		**بعد الفراق الابن (موسى) يعود لأمه.** قال تعالى : (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) " القصص: ١٣

[1] - أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ٤٩١/٢.

السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) يوسف: ٩٩ – ١٠٠		

المحطة العشرون :

تنتهي أحداث قصة يوسف عليه السلام مع من حقد عليه من إخوانه بإشهار حياة جديدة يملؤها الحب والعطف والسعادة بحكمة الله تعالى وتدبيره العليم الحكيم.

قال تعالى :(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

يوسف: ٩٩ – ١٠٠

تنتهي أحداث قصة موسى عليه السلام مع من حقد عليه بهلاكهم في اليم بقدرة الله وتدبيره

قال تعالى : (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ، فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ، وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ) القصص: ٣٩ – ٤٢

ففي سورة يوسف يقول السعدي : " أي: (فلما) تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكانها فلما وصلو إليه و (دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) أي : ضمهما إليه واختصهما إليه وأبدى لهما من البر والإحسان والتبجيل والإعظام شيئاً عظيماً (وقال) لجميع أهله (أدخلو مصر إن شاء الله آمنين) من جميع المكاره والمخاوف فدخلو في هذه الحال السارة وزال عنهم النصب ونكد المعيشة وحصل السرور والبهجة (ورفع أبويه على العرش) أي: على سرير الملك ومجلس العز (وخروا لهُ سجداً) أي: أبوه وأمه وإخوته سجوداً على وجه التعظيم والتبجيل والإكرام (وقال) لما رأى هذه الحال ورأى سجودهم (يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل) حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر لهُ ساجدين فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت (قد جعلها ربي حقاً) فلم يجعلها أضغاث أحلام (وقد أحسن بي) إحساناً جسيماً (إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو).

وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام حيث ذكر حاله في السجن ولم يذكر حاله في الجب لتمام عفوه عن إخوته وأنه لا يذكر ذلك الذنب وإن إتيانكم من البادية من إحسان الله فلم : يقل جاء بكم من الجوع والنصب ولا قال : أحسن بكم بل قال (أحسن بي) جعل الإحسان عائداً إليه فتبارك من يختص برحمتة من يشاء من عباده ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب (من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) فلم يقل : نزغ الشيطان إخوتي بل كأن الذنب والجهل صدرمن الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة (إن ربي لطيف لما يشاء) يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر ويوصله الى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها (إنه هو العليم) الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها وسرائر العباد وضمائرهم (الحكيم) في وضعه الأشياء في مواضعها وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها."[1]

وفي سورة القصص يقول ابن عاشور : " الأستكبار: أشد من الكبر، اي تكبر تكبراً شديداً إذ طمع في الوصول إلى الرب العظيم وصول الغالب أو القرنين.

و(جنوده) : أتباعه. فاستكباره هو الأصل واستكبار جنوده تبع استكباره لانهم يتبعونه ويتلقون ما يمليه عليهم من العقائد.

و(الأرض) يجوز أن يراد بها المعهوده، أي أرض مصر وأن يراد بها الجنس، اي في عالم الأرض لأنهم كانوا يومئذ أعظم أمم الأرض.

وقوله (بغير الحق) حال لازمه لعاملها إذ لا يكون الاستكبار إلا بغير الحق.

وقوله (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) معلوم بالفحوى من كفرهم بالله وإنما صرح به لأهمية إبطاله فلا يكتفى فيه بدلالة مفهوم الفحوى، ولأن في التصريح به تعرضياً بالمشركين في أنهم وإياهم سواء فليضعوا

[1] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ص ٤٢٦

أنفسهم في اي مقام من مقامات أهل الكفر، وقد كان أبو جهل يلقب عند المسلمين بفرعون هذه الأمة أخذاً من تعريضات القرآن.

ومعنى ذلك : ظنوا أن لا بعث ولا رجوع لأنهم كفروا بالمرجوع إليه. فذكر (إلينا) لحكاية الواقع وليس بقيد فلا يتوهم أنهم أنكروا البعث ولم ينكروا وجود الله مثل المشركين...

(فأخذنه وجنوده فنبذنهم في اليم فانظر كيف كانت عاقبه الظالمين"٤٠")

أي ظنوا إنهم لا يرجعون إلينا فعجلنا بهلاكهم فإن ذلك من الرجوع إلى الله لأنه رجوع الى حكمه وعقابه ، ويعقبه رجوع أرواحهم إلى عقابه، فلهذا فرع على ظنهم ذلك الإعلام بأن أخذه وجنوده. وجعل هذا التفريع كالاعتراض بين حكاية احوالهم...

وقوله (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) اعتبار بسوء عاقبتهم لأجل ظلمهم أنفسهم بالكفر وظلمهم الرسول بالاستكبار عن سماع دعوته. وهذا موضع العبرة من سوق هذه القصة ليعتبر بها المشركون فيقيسوا حال دعوة مُحَمَّد – صلى االه عليه وسلم – بحال دعوة موسى عليه السلام ويقيسوا حالهم بحال فرعون وقومه، فيوقنوا بأن ما أصاب فرعون وقومه من عقاب سيصيبهم لا محالة.

وهذا من جملة محل العبرة بهذا الجزء من القصة ابتداء من قوله تعالى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) "القصص:٣٦" ليعتبر الناس بأنه شأن أهل الضلالة واحد فإنهم يتلقون دعاة الخير بالإعراض والاستكبار واختلاق المعاذير فكما قال فرعون وقومه (ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) قالت قريش(بل افتراه بل هو شاعر) "الأنبياء:٥" وقالوا (ما سمعنا بهذا في الملة الأخرة) "ص:٧" أي التي أدركناها وكما طمع فرعون أن يبلغ إلى الله استكباراً منه في لأرض سأل المشركون (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبرو في أنفسهم وعتو عتواً كبيراً)"الفرقان:٢١" وظنوا أنهم لا يرجعون إلى الله كما ظن أولئك فيوشك أن يصيبهم من الاستئصال ما أصاب أولئك"[١].

[١] - التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور : ٢٠ / ٥٩

المحطـة الحادية والعشرون :		
بدأت أحداث قصة يوسف من خارج مصر وانتهت في مصر .		بدأت أحداث قصة موسى من مصر وانتهت خارج مصر.

خاتمة: في نهاية هذا البحث يمكن استخلاص النتائج الأتية :

١. أن قدرة الله تعالى في تدبير الأمور وتيسير الأحداث وتحقيق الغايات قد تفوق تصورات الناس حتى وإن كانوا من الأنبياء والمرسلين.

٢. أن القران الكريم المعجزة الخالدة الباقية تتجلى فيه الحكمة الإلهة في النظم والتراكيب سواءً في أحكامه أو قصصه، كما هي في جميع آياته.

٣. تضل قصص الأنبياء في القرآن نبراساً مضيئاً يهتدي بها السائرون على نهجهم، الداعون بدعوتهم، المتبعون لرسالتهم.

٤. قد تتوافق الأحداث أحياناً وقد تفترق في محطات أخرى ، والمستفيد من سردها هو المتأمل لأحداثها والمعتبر بما فيها اتفاقاً وافتراقاً.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المراجع :

١- أطلس الاديان : سامي بن عبدالله بن احمد المغلوث، مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الثالثة، ٢٠١١م.

٢- البحر المحيط : ابو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق : صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر – بيروت طبعة ١٤٢٠هـ.

٣- البداية والنهاية : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف – بيروت.

٤- في ظلال القرآن : سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، بيروت – الطبعة الحادية والثلاثون، 2002 م.

٥- فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير : مُحَمَّد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير – دمشق، بيروت – الطبعة الثانية 1998م.

٦- التفسير القرآني :عبدالكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة – بدون -.

٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم : مُحَمَّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٩- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور : مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ – بيروت – الطبعة الأولى 2000 م.

١٠- الدر المنثور : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر – بيروت – بدون.

١١- التسهيل لعلوم التنزيل : ابو القاسم مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبدالله الغرناطي، تحقيق : عبدالله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ.

١٣- اليسير في اختصار تفسير ابن كثير : صلاح عرفات – وآخرون دار الهداة للنشر – جدة – الطبعة الأولى، 1426 هـ.

١٤- أوضح التفاسير: مُحَمَّد مُحَمَّد عبداللطيف الخطيب، المطبعة المصرية – مصر – الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ.

١٥- تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى ألباني – مصر
الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبدالرحمن ابن ناصر السعيدي، دار الحديث القاهرة – طبعة 2002 م.

١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين مُحَمَّد بن عبدالله الحسيني الألوسي، تحقيق : علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى الأولى، ١٤١٥هـ.

١٨- زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي،تحقيق : عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٩- صحيح البخاري : لأبي عبدالله مُحَمَّد ابن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، إشراف ومراجعة : صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام – الرياض – الطبعة الثالثة، 2000 م.

٢٠- صحيح مسلم : لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، مراجعة وإشراف : صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام – الرياض – الطبعة الثالثة، 2000 م.

٢١- صفوة التفاسير : مُحَمَّد علي الصابوني، دار الصابوني – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٢- لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن ابراهيم المعروف بالخازن، تحقيق : مُحَمَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٣- مفاتيح الغيب : أبو عبدالله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٤- مجلة جامعة الرازي للعلوم الإدارية والإنسانية – صنعاء – العدد الأول، يونيو ٢٠٢١م.

جامعة حجة
HAJJAH UNIVERSITY